تصور المستشرقين عن الأمة المسلمة

(دراسة الحالة لرأي كل من Clifford Geertzو Max Weber)

دكتور/ شمس العارفين*

١ــ مقدمة

أصــبحت الدراسة عن الاستشراق والأمة المسلمة مهمة للغاية علما بأن الأمة المسلمة توضع موضوع دراستهم. الاستشراق عبارة عن الحركة التفكيرية التي تتركز دراسته على قضايا الشرق والإسلام (WAMY، ١٩٩٣: ١٥). تشمل دراستهم الحضارة الشرقية بما فيها الثقافة والديانه والفنون واللغة والأدب والتركيبات الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن معظم المستشرقين أكثر ميلا إلى محاولة الكشف عن نقاط الضعف عند المسلمين والشرقين من شتى نواحي الحضارة. ويتجلى ذلك في أنظارهم المتأثرة بالنــزعة الغربية إذ أن معظم نظرياهم الاجتماعية تعتمد على البيانات العلمانية والمنتزعة النــزعة الإنسانية التي يملك المجتمع الغربي.

تسـبب الــنــزعة الغربــية في دراسة المجتمع الشرقي الإسلامي ظهور ردود الفعل من الاجتماعيين المسلمين حيث يرون أن نظرياهم يصعب تطبيقها في المجتمع الشرقي والإسلامي. ومن المستشــرقين من اعترفوا بقصور نظرياهم منهم Murdock إذا أنه يجد غضضًا في تطبيق علم الاجتماع الغربي على المجتمع غير الغربي ويعود السبب إلى كون المفاهيم والنظريات الغربية نتيجة لدراسة المجتمع الغربي التي لم تثبت صحتها على المجتمعات الأخرى. وأضاف Ember أن تطبيق المفاهيم والنظريات الغربية على المجتمع غير الغربي إنما هو محاولة قياس المجتمعات التي تتأسس على النــزعة الغربية الأوربية على المجتمعات غير الغربية بمقياس الغرب.

واعتبر Piers أن رفض استعمال النظريات الاجتماعية الغربية لقياس المجتمع غير الغربي عــبارة عــن النضال والكفاح من قبل العلماء الشرقين على الاحتلال العلمي. لأهم وجدوا أن

* جامعة جاكرتا الحكومية ــ إندونيسيا.

الدعوة إلى تطبيق النظريات الغربية تهدف إلى إخضاع العلماء الشرقيين حتى يكونوا مستهلكين لما أملاه الغرب.

وفي هذا الصدد يرى إلياس با يونس أن الأفكار الغربية كثيرًا ما تخالف تصورات المجتمع غــير الغــربي المحلية. ومن ثم فدراسة الاجتماعي الغربي للمجتمع غير الغربي ينقصها عدم الثبات والالتزام في تبني المداخل والمناهج.

ويرى Turner أن Max Weber له مكانة مرموقة بين الاجتماعيين بعد أن قدم نتائج بحوثه عن مجتمع الهند والصين وأوربا بالإضافة إلى مساهماته الوفيرة في وضع علم الاجتماع المعاصــر مــن خلال الفلسفة الاجتماعية والمنهج المتعلق بها إذ أنه حاول قياس الواقع الاجتماعي قياسًا ذاتيا. إلا أن دراسته للإسلام ومحمد تأبى تلك الفلسفة، فيبدو ثنائية موقف Weber وذلك لأنه يقدم الإطار الذي يساعد على النظر إلى تطور المجتمع المسلم في جانب ولكنه لا يلتزم بالإطار نفسه في تطبيقه في جانب آخر إذ يبدو أنه غير محايد في تحليل المجتمع غير الغربي.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على تصور المستشرقين للمجتمع الإسلامي. وهو يتركز على تصور المستشرقين الألماني والأمريكي هما Max Weber و Clifford Geertz من خــلال دراســتهما حــول المجتمع الشرقي والإسلامي. أجرى Geertz دراسته في أندونيسيا والسودان وغيرهما وأما Weber فأجرى بحثه في الصين والهند والبلاد الأخرى وهو يتكلم كثيرًا عن الإسلام أيضًا.

٢ـ Weber ونظرته عن الحضارة الغربية والشرقية

سيصف الكاتب في هذا المجال أراء Weber عن الشعب الغربي والشعب الشرقي. يرى Weberأن الشــعب الغربي أكثر تميزا من الشعب الشرقي بفضل العلوم والتكنولوجيا التي تم تطويــرها عندهم. ومما كتبه Weber يبدو أنه من المتساهل في تبسيط القضايا وهو يشرح عن المجــتمع الشــرقي وعــلى سبيل المثال قوله بأن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي لها قوة التطور والتجدد لأنها الوحيدة المتصفة بالعالمية (Andreski، ١٩٨٩: ١٢).

وهذا الرأي القياسي يتم تفريعه إلى النظرات التي لا تعتمد على البيانات الكافية. فيدعي Weber أن المعــارف تــنمو بفضل الحضارة الغربية حيث تقدم الغرب تنظيمًا محكمًا للمعارف تجريبية كانت أم فلسفية تأملية.

مهمـــا أن الحضــــارات الأخرى في مصر والصين والهند والبابل قد توصلت إلى المعارف والاستقصاء إلا أن **Weber** وجد منها القصور فمثلاً يرى **Weber** أن علم الفلك البابلي لا يُبْـــنَي عـــلى الرياضيات وفي الهند لا تبني **Geometri** وفقًا للمنهج العقلاني .كما أنه يرى أنه بالزعم من تقدم الهند في ابتكار العقاقير والأدوية إلا أن المعارف الطبيعية لهم لم تتأسس على المنهج الـــتجريبي، و توصــــل بذلـــك **Weber** إلى الخلاصة بأن المعارف العقلية لم تنضج بعد إلا عند الحضارة الغربية.

وانـــتقد **Weber** التاريخ العلمي لدي الصين قائلا إن المعارف التي تم اكتشافها عند الصين لم يتم تنظيمها وفقًا لمنهج كشف البيانات المباشر.فمن الصعب التمييز بين الأساطير والمعارف العلمية وكذلك الأمر بالنسبة للتفكير السياسي في آسيا. فلم يستخدم فيه المناهج المنظمة والمفاهيم العقلانــية وخلاصـــة القول فإن **Weber** يتهم الحضارات الأخرى بأنها لم تتوصل إلى المعارف والفنون المنظمة والمصطبغة الصبغة العقلانية بخلاف الحضارة الغربية.

ونظرة **Weber** عن قصور المجتمع الشرقي في ميادين مختلفة كما سبق شرحه تمثل أنظار غالبـــية المستشرقين. فتعطي النظرة صورة عن علوية المجتمع الغرب ودنوية المجتمع الشرقي خاصة المجتمع المسلم.

٣ــ **Weber** وتصورهُ عن الإسلام

إن أراء **Weber** عن الإسلام أكثر قساوة وطعنا من أراءه عن الحضارة الشرقية عامة، إذ أنـــه يرى أن الإسلام دين اعتنقه مغامرون يرمون بما عملوا إلى الاستعمار والاحتلال والنهب. فالصـــوفية في نظره أيا كان نوعها لا تليق بالإسلام مهما أنه اعترف بوجود مجموعات صوفية في الإســـلام إلا أنه يرى أن تلك العملية الصوفية ما زالت في الطبقة السفلي بالمقارنة مع الصدقية في المسيحية (**Scharf, ٢٠٠٤:٢١٩**).

ويـــرى **Weber** أن ظهور الإسلام في المدينة ظهور ديانة الجنود العرب القومية نتيجة الكبـــت الكتب الطبقي الشديد (**Weber, ١٩٦٤:٢٦٢**). ولا يشترك في الإسلام إلا أنصار محمـــد الأقوياء الذين يتبعونه لتحقيق طموحاته. ويرى **Weber** أن الهدف الرئيس للإسلام هو القـــتال حـــتى يخضع معتنقو الأديان الأخرى ويدفعون الجزية. وبفضل الجزية والضرائب الأخرى تمكن الإسلام من احتلال قمة الحضارة العالمية.

ذلك ما يضع الإسلام كدين طبقة الجنود. وفي هذه الظروف فتحتل الغنيمة مكانة مهمة في مجـــال الاقتصـــاد بالإضافة إلى أن مبادئ الأخلاق الاقتصادية في الإسلام مبدأ إقطاعي خالص. ويدل التاريخ على أن الصحابيين الكبار تمتعوا بالثروة المالية العظيمة نتيجة جمعهم الغنائم.

ويتولى الأغنياء مقاليد الأمور بفضل الغنائم التي جمعوها فيتولى الأغنياء السياسة فيجمعون بين الأمور الدنياوية والأمور الدينية. فهم يلبسون أفخر الملابس مع التظاهر بأية التدين الحقيقي.

لـــيس الإسلام في رأي **Weber** دين السلام والسلامة (**Weber, ١٩٩٥:٢٦٥**). فالسلامة مفهوم غريب في الإسلام. لأن الإسلام يعلمنا بأن الله رب ذو القوات اللامتناهية. ومن ثم فتبنى الأنظمة والأحكام في الإسلام وفقًا للخصائص السياسية.

الـــثروة و القـــوة والعظمـــة وعود الإسلام الحربية بالإضافة إلى وعداجنة للشهداء من المجـــاهدين. وللإســـلام مفهـــوم خاص عن الذنب وهذا المفهوم يتمتع بالنـــزعة الإقطاعية أيضًا. والأدلة الأخرى التي تبرهن على الخصائص الإقطاعية في الإسلام قبوله للاستعباد وتعدد الزوجات بالإضافة إلى المعاملة غير العادلة للنساء.

هذه التصورات إنما هي الإهانة المنظمة بالإسلام أنها عبارة النقص من شأن الإسلام.

٤ـ طبقات المجتمع الجاوي عند Geertz

يقســـم **Geertz** في كتابه **The Religion of Java** المجتمع الجاوي إلى ثلاثة الأصناف الاجتماعـــية ألا وهـــي طـــبقة مجتمع **Abangan** المتمركز في القرى وطبقة مجتمع **Santri** المتمركز فيما حول السوق وطبقة مجتمع **Priyayi** المتمركز في المكاتب الحكومية أو المدينة.

تمـــثل كل طبقة صورة تدين كل منها. فطبقة **Abangan** تميل إلى النـــزعة الاغيبية (**mistic**) في الـــتدين وطـــبقة **Santri** تميل إلى العمل بالإسلام وطبقة **Priyayi** تميل إلى العـــادات الهندوكـــية. مهما أن الطبقات تختلف من واحدة إلى أخرى فإنها تكمل بعضها بعضها لتكوين النظام الاجتماعي العام في **Mojokuto**. ويرى **Geertz** أن الدين يلعب دورا مهما في توحـــيد المجتمع وتفكيكه إلا أن **Geertz** أكثر اهتمامًا بدور الدين التفكيكي في نظام المجتمع الجاوي **Mojokuto**.

وتقســـيم المجتمع الجاوي إلى ثلاث طبقات لا يطبقه المجتمع الجاوي نفسه تجاهم. ويرى **Parsudi Suparlan** أن **Geertz** له إطـــار نظري استفاد منه أداة للتحليل وهذا الإطار

كـــان عرضه Redfied للنظر إلى تركيبات سكان المدينة والقرية. ومن هنا فيتضح لنا اختلاف تقسيم Geertz لمجتمع Mojokuto إذ أنه وضع إطار غير الإطار المناسب لموضوعه.

وبالإضـــافة إلى ذلك فاستعمال مصطلحات Abangan و Santri و Priyayi لتصنيف المجتمع الجاوي ليس محكمًا ودقيقًا لأن ثلاثة الأصناف التي ذكرها Geertz لا تعود إلى النظام التصنيفي الواحد. Abangan و Santri تقسيم على حسب درجة التزام المسلم بأداء الطقوس الدينية (العبادة المحضة في الإسلام). وأما Priyayi فهو صنف اجتماعي أي وضع للنظر إلى التركيـــبات والطبقات الاجتماعية. والمصطلحين Santri و Abangan ليسا دليلاً على الطبقتين الاجتماعيين المختلفين إذ أنهما تنسبان إلى الطبقة الواحدة في حقيقة الأمر، فالتفريق بينهما ليس تفريقًا جوهريًا وإنما التفريق العرضي.

ومـــن هـــنا لا بد من السؤال عما دفع Geertz إلى تبسيط تركيبات المجتمع الجاوي؟ يمكننا أن نجيب عن هذا السؤال بالنظر إلى تأثير هذا التقسيم في التطورات السياسية في أندونيسيا. ويبدو جليا في تجربة شعب أندونيسيا أن الخطاب عن Abangan و Santri و Priyayi له تأثير ذو معنى في ظهور مذهب الطائفية في السياسة بأندونيسيا.

ومـــنذ ١٩٥٥ حـــتى ١٩٩٩ يتساهل المجتمع الإندونيسي في الانتساب إلى الأحزاب أو المجموعـــات التي تمثل أصنافهم الاجتماعية أي حزب الشيوعية الإندونيسي لطبقة Abangan وحزب Masyumi الإسلامي لطبقة Santri والحزب القومي لطبقة Priyayi والأحزاب الأخرى الصغيرة التي تكون أقمارا للأحزاب الكبيرة الثلاثة.

وفي عهد النظام الجديد فضمت الحكومة الأحزاب ذات النـــزعات والأغراض المتنوعة إلى ثلاثـــة أحـــزاب رسمية هي حزب المهنيين (Golkar) وحزب التنمية المتحدة (PPP) وحزب الديموقراطية الإندونيسي (PDI). وهذه الأحزاب الثلاثة تمثل طبقات Santri, Priyayi و Abangan. وبعد سقوط نظام Suharto ما زالت السياسه الطائفية تجد صداها إذ اتحدت الأغـــراض السياسية المتشابهة إلى الأحزاب المعينة. ويتضح لنا أن نظريات Geertz ذات تأثير سلبي في المجتمع الإندونيسي.

٤ـ نظريات Geertz الغامضة

النظريات التي قدمها Geertz غامضة وغير واضحة. لأنها مبنية على التصور الغامض عن العلاقة بين الدين وطبقات المجتمع الجاوي. ومن الملاحظ أن Geertz يضع الدين عنصرا من عناصر النظام الحضاري إلا أن الحضارة بالنسبة لـــه لا تعرف كنماذج السلوك والأخلاق وإنما تعتبر مجموعة الأنظمة والخطط والأدلة التي يمكن أن يستفيد منها الإنسان لتنظيم أخلاقه وسلوكه. كما يرى Geertz الحضارة كتنظيم المعلومات والمفاهيم المتلخصة في الرموز المتعلقة بوجود الإنسان.

ونقل Pals عن Geertz تعريف الدين بأنه نظام الرموز الذي يهدف إلى تكوين الشعور والدوافـــع القوية وهذا النظام ينتشر ويبقى في نفس أحد عن طريق خلق التصور عن النظام العام للكون وتعليق المفاهيم على الواقع مما يؤدي بالشعور والدوافع إلى أن تكون واقعًا مميزًا.

إذا تدبرنا (The Religion of Java)مستخدمًا التعريف السابق يتجلى لنا أنه يمثل وجهـــة الـــنظر الســـابقة وكذلـــك وصـــف Geertz وتحلـــيله عن ديانات سكان جاوي في Mojokuto فإنهمـــا يقومـــان على نظام الرموز الذي يجعل الدين دينًا ويربط النظام بعمليات التركيبات الاجتماعية والنفسية.

ومع ذلك فإن Geertz لا يرى وجود الدين الجاوي كتقديس القدماء كما كتبه الخبراء الاجتماعـــيون الهولانديون وإلى جانب ذلك فلا يرى Geertz أن الدين الجاوي الذي يشتمل عـــلى المبادئ الرئيسة Sangkan paraning dumadi وهي البيان عن حقيقة الإنسان وأهداف حياته.

إذا جمعـــنا البيانات عن الدين الجاوي وقمنا بالبحث فيها فعرفنا أن أصناف Priyayi و Santri و Abangan، إنما هي تقسيم مضطرب وذلك لأن الدين الجاوي في حقيقة أمره لا يعرف تلك الأصناف ولكن من الأسف إن تلك الأصناف تم تكوينها إجباريا في إطار خدمة رسالة المستشرقين لإضعاف المجتمع الجاوي خاصة غالية المسلمين منهم.

٥ـ منهج الوصف العميق الذي لا يلتزم به Geertz

حاول Geertz الوقوف على سكان Mojokuto جاوي مستخدمًا المنهج التفسيري المســـمى thick description وهو يهمل المجال الذي هو فيه إلا أن هناك انتقادات من قبل الانتروبولوجـــيين الـــتي تجـــد إشـــكالاً في تطبيق Geertz المنهج في الميـــــــدان العملي

(Pales, ١٩٩٦:٤١٠) على سبيل مثال تصريح Geertz بأن تحليله للحضارة ليس تحليلاً تجريبيا علميا يرمي إلى التقعيد ولكنه مجرد التفسير للحصول على المعنى.

بهذا الإدعاء فلا يكون Geertz إلا يلعب بالكلمات ذلك لأن المنهج التفسيري إنما يبحث عن المعنى ولا يرمي إلى تكوين النظريات العلمية التي تشرح ما توصل إليه في الميدان العملي ومن ثم فكرة Geertz ليس إنتاجًا علميًا وبما أن النظريات هي التي تحكم على المعارف العلمية فتفسير Geertz للمعنى الذي ليس له العلاقة بها إنما هو قتل المعارف من قبل Geertz.

للمنهج التفسيري مشكلة تتمثل في أنها تضعف الدوافع للتوضيح. ومما يثبت ذلك ما أوضحه Geertz حول مجازر ألوف سكان بالي في سنة ١٩٦٥ إثر سقوط سوكرنو (Soekarno) إذ أن Geertz يرجع إلى التناقض المبدئي في شعور سكان بالي بين حبهم للفنون وحبهم الأعمى للعنف. إلى أن Geertz في عملية بحثه ليس جادًا في البحث عن أسباب تلك الحادثة مع أنه في الواقع بإمكاننا البحث عن قاتليهم ومن استفاد من الحادثة. وهنا لا يقدم Geertz أسئلة عن احتمال تورط العناصر الخارجية من أمثال مركز المخابرة الأمريكية أو كبار القوات المسلحة الإندونيسية وأنصارهم بل يطرح عن كيفية حصول سكان بالي على أمنيتهم السياسية. وهنا يتجلى لنا عدم صدق المستشرقين في تقيسم الأمور المتعلقة بتصرفات الغرب السيئة نحو الشعب الشرقي. ولذلك فلا بد لنا من الشك بنموذج تركيب المجتمع الجاوي الاجتماعي والمنهج التفسيري المبين من قبل المستشرقين وذلك بأنهم قد صاغوا تلك النماذج منذ أن كانوا في بلادهم و ليطبقوها في أندونيسيا بغية منهم إضعاف المسلمين هناك.

٦ـ الخاتمة

الاستشراق خطاب قام بتكوينه الغرب الأوروبي والقائمون بهذا التكوين يأتون من ميادين العلم المختلفة وصاغوا تصورهم للشعب الشرقي بوجهة النظر الهيمنة والسيادة على الشرق (Aschroft, ٢٠٠٤:١٦٨).

وذلك التصور ليس تصور الشعب الشرقي لأنفسهم وإنه صيغ وفقًا للافتراضات المنحازة للنزعة الأوروبية المتصفة بالذاتية الأوروبية التي تدفع أصحابها إلى النظرة العنصرية والاستعمارية.

لأراء المستشرقين في المجال الاجتماعي قصور ونقصان خاصة فيما يتعلق بالأمة المسلمة كما نجدها في رأي Geertz و Weber، وفي هذا الصدد فقد ذكر Turner ثلاث قصور لعلم

الاجـــتماع الديني (Turner, ١٩٩١:١٦) أولا يرى Turner أن تركيز الاجتماع الديني الغربي على الواقع التحريبي ضيق للغاية إذ أنهم يهتمون فقط بديانات الغرب. وإلى جانب ذلك لم تستفد نظرياتهم من الثروة الثقافية و الأنتروبولوجية والعرقية للديانات الأخرى.

وفهـــم الاجتماعي الغربي من أمثال Weber والأنتروبولوجي من أمثال Geertz عن الديانة الأخرى لا يأتي من خلال تلك الديانة نفسها وإنما يأتي من وجهة النظر الخارجية التي تؤثر فـــيهما حـــتى يحللا تلك الديانة وفقًا لتلك النظرة ومن هنا فيمكن القول بأن تحليل المستشرقين بالإســـلام إنمـــا هو محاولة الغرب للهيمنة على الخطاب الإسلامي وفقًا لوجهة نظرهم المنحاز إلى النـــزعة الأوروبية.

مراجع

Aschhroft, Bill., et.al., *Key concept in Postocolonial Studies*, Canada: Routledge, 2004

Al-Nadwah Al-Alamiyyah Li Al-Syabab Al-Islamiy, *Al-Maushu'ah Al-Muyassarah Fi Al-Adyaan Wa Al-Mu'aashirah* (terjemahan A. Najiyullah; *Gerakan Keagamaan dan Pemikiran: Akar Ideologis dan Penyebarannya,* Jakarta: Al-Ishalahy Press, 1993)

Andreski, Stanislay, *Max Weber On Capitalism, Bureaucracy and Religion* (terjemahan Hartono H.; *Max Weber: Kapitalisme Birokrasi dan Agama,* Yogyakarta: Tiara Wacana, 1989)

Ember, Carol L. dan Melvin Ember, *Perkenalan Dengan Antropologi.* (dalam T.O Ihromi (penyuntingan); *Pokok-Pokok Antropologi Budaya,* Jakarta: Gramedia, 1980)

Geertz, Clifford., *The Religion of Java* (terjemahan Aswab Mahasin; *Abangan, Santri dan Priyayi Dalam Masyarakat Jawa,* Jakarta: Pustaka Jaya, 1981)

Jurnal Ulumul Qur'an, Volume III, No.4 Th. 1992

Moore, Gilbert, Bart, *Postocolonial Theory, Contexts, Practies, Politics,* New York: New Left Book, 200

Murdock, George Peter, 1960, *Sociology and Anthropolgy*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press

Pals, Daniel L., *Seven Theories of Religion* (terjemahan Inyiak Ridwan Muzir; *Dekonstruksi Kebenaran: Kritik Tujuh Teori Agama,* Yogyakarta: IRCiSoD, 1996)

Piers, Ralp., *The Implantation of Sociology in Asia,* International Social Science Journal, 1969

Said, Edward, *Orientalism* (terjemahan Asep Hikmat: *Orientalisme*, Bandung: Penerbit Pustaka, 2001)

Scharf, Betyy R., *The Sociological Sociology of Religion* (terjemahan Machnun Husen; *Sosiologi Agama*, Jakarta: Prenada Media, 2004)

Shils, Edward, *The Intelectuals and The Powers*, Chicago: University of Chicago Press, 1972

Turner, Bryan S., *Weber and Islam*, Boston: Rontge and Kegan Paul, 1974

Turner Bryan S., *Religion and Social Theory* (terjemahan Inyiak Ridwan Muzir; *Agama dan Teori Sosial*, Yogyakarta: IRCiSoD, 1991

Weber, Max., *Sociology of Religion*, Boston: Beacon Press, 1964